المنبهات الحسية في المسكوت عنه في شعر مسلم بن الوليد ـ صريع الغواني (ت 208 هـ)

م.د. محمد صائب خضير

يحاول الشاعر دائما أن يمنح صورة الشعرية رونقا ً وبهاء ً وجمالا ً فنيا ً ، مقدماً من خلالها تجربته الشعورية في صورة موحية مؤثرة في المتلقي(1) .

وعادة ما تتكون الصورة من تلاحم عنصرين مهمين يكونانها ذاتا ً وموضوعا ً هما : الخيال والواقع ، وبتعاضد هذين العنصرين تصل هذه الصورة الى المتلقي ، بالشكل الذي أرادة المبدع وربما بشكل آخر بعيد عما أراده له ان يفهمه ، وهذا كله يتوقف على إحساس الشاعر وشعوره المكثف عندما يجسده في تركيب لغوي معروض في نسق خاص (2) .

والشاعر بفاعلية من خياله في تكوين الصورة الشعرية ، يعتمد على مثيرات حسية قائمة على مجالات الإدراك التي تتعلق بما تثيره كل حاسة في ذهن المتلقي ، (والشاعر المبدع هو الذي يفيد من الحواس وما تدركه من حولنا من الواقع ؛ ليؤلف صورة شعرية ترتبط أجزاؤها برابط عقلي يمثل جهداً ً مفرداته الخيال ، وتحولاته ، ومن يتصدى لتحليل النص الأدبي ، إنما يحاول الإفصاح عن فاعلية الخيال والعمل الذهني المُتَقيِد المستفيد من الحواس ، وما هو حسي في تشكيل ماهو غير حسي ، ولا يمكن إدراكه بالحواس ، وفي هذا انطلاق نحو الغرائبية ، والدهشة ، ومتعة الإمساك بالحلم) (3) .

وعندما نقرأ شعر شاعر ما فإننا ننظر إلى ما يقوله الشاعر ، ولكن ماذا عمّا لم يقله الشاعر صراحة ، فيبدو للقارئ لأول وهلة أنه سكت عنه لكنه لم يفعل ، مثال ذلك ما الذي يكرهه الشاعر في المرأة ، فلم يذكره عندما تغزل بها ، وما الذي يراه في ممدوح ما ، فلم يذكره ، وما الذي يريد أن يخفيه عن الناس موجود في نفسه ، فلم يذكره لما فخّر بنفسه ، وهكذا ننظر الى ما لم يقله ، من خلال النظر الى ما قاله ، كل هذا من خلال المثيرات الحسية التي تكون الصورة الشعرية المؤلفة بدورها من الصورة البصرية ، والسمعية ، والشمية ، والذوقية ، واللمسية ، وهذا أمر نحتاج فيه الى قراءة النص قراءة خاصة يبدو فيها سياق القراءة جزءا ً ((من منظومة السياق ، وتمثل جزءا ً من بنية النص . لكن القراءة المكونة للبنية تمثل مستوى واحدا ً من مستويات القراءة . تتعدد مستويات القراءة أولا ً بتعدد أحوال القارئ الواحد ، وتتعدد ثانيا ً بتعدد القرّاء بسبب خلفياتهم الفكرية والأيديولوجية ، فتتعدد طبقا ً لذلك مرجعيات التفسير ، والتقييم على حد سواء)) (4) .

وقد اخترت الشاعر مسلم بن الوليد ، (ت 208 هـ) ؛ ليكون محور بحثي ، فقد وجدت أماكن كثيرة في شعره تضم أفكارا ً مسكوتا ً عنها في شعره ، ورتبت بحثي على وفق محاور ، ويضم كل محور موضوعا ً من موضوعات شعر هذا الشاعر المبدع ، فبدأت بالمديح ثم الغزل ثم الخمريات .

المديح :

مدح الشاعر في شبابه البرامكة ، ويزيد بن مزيد ، ومحمد بن منصور بن زياد ، فلما اشتد عوده مدح الرشيد ، فكان يستحسن شعره ، ويأمر له بالمال ، وهو الذي لقبه (صريع الغواني) (5)، وقد أكرمه الأمراء والوجهاء ، فعطفوا عليه ، وشجعوه ، وكان هذا التشجيع يدفعه الى قول أكثر فأكثر ، ومع أنه مدح الخلفاء والأمراء ، الا أن من ينظر الى شعره يجده قد كنّ تقديراً خاصاً ليزيد بن مزيد الشيباني الذي كان يراه فارساً شجاعاً ، ومغواراً يستحق أن يكون رأس أمة ، وقائد لجيوش الإسلام نحو الظفر ، والنصر المبين على أعداء الدين والملة ، فهو يراه أحقّ من غير بأن يتصدر القوم ، ويكون على رأسهم ، ولا يكون ذلك الا بنيل الخلافة على المسلمين .

قال مسلم بن الوليد يمدح يزيد بن مزيد :

وَطَـيِّـبِ الفرْعِ أصْفانِـي مَوَدَّتَـهُ
كافأتُـهُ بمَديحٍ فِيهِ مُنْتَخَـلِ
وَبَلْدَةٍ لِمَطَـايَـا الرَّكْبِ منضِيةٍ
أنْضـيْتُـها بَـوجيفِ الأيْـنُقِ الذُّلُلِ
فِيم المُقامُ وَهذا النَّجْمُ مُعْتَرِضاً
دَنا النَّجَـادُ وَحانَ السَّيْرُ فارْتحِلِ (6)

يبدأ الشاعر قصيدته بمقدمة غزلية ، حتى يصل الى هذه الأبيات التي يتخلص فيها الى المديح . يستعمل الشاعر حرف الجر المحذوف رُبّ في الإشارة الى شخص في ذهنه يود لو أن كل من يستمع الى شعره هذا أن يكون مثله . ذلك الشخص يجب أن يكون من أصل طيب لايقرب إليه أحداً غيره من الشعراء ، وعندئذ سيكون هو من يخلده بشعره يختار لا يصلح ، الا لمن هم أمثاله ، فالشاعر لم يقل للممدوح إذا أرات أن أخلص لك فعليك أن تخلص لي ، فهذا لا يقال لملك أو أمير ، وإنما جعل كلامه عاماً موجهاً لأي طيب الأصل . بل إنه يقول بعدها أن هذا الممدوح حتى لو كان في بلدة بعيدة تحتاج الى أن أركب إليها النوق التي سيتعبها هذا السفر ، فلا يهمني ذلك ، و ((هذا ما يؤكد وجود علاقة بسيطة دون وسيط بين المتكلم ، ولغته الخاصة الوحيدة ، والمتكلمة ، وافترضت أيضاً ، ادراك هذه اللغة أدراكاً بسيطاً في حديث الفرد الذاتي المونولوجي))(7) . مستعيناً بصورة بصرية تعتمد على حاسة الابصار ؛ لأنها أكثر الحواس سرعة وتأثيراً في الإنسان .

ويتجسد هذا الإدراك في البيت الثالث عندما استعمل أسلوب التجريد فيخاطب نفسه التي تقاعست عن الخروج الى القتال مع هذا البطل الشجاع ، وهذا ما أشار إليه شارح الديوان(8) .

غير أن من ينعم النظر يجد أن الشاعر يوجه كلامه الى رجال أمته الذين لا يحتاجون الى شيء سوى قائد يجمع شملهم ، ويلم شتاتهم ؛ ليقفوا بوجه من يعاديهم ؛ لهذا قال مخاطباً عدو الأمة :

يامائِلَ الرأسِ إنّ اللَّيثَ مُفْتَرِسٌ

مِيلَ الجَمَاجِمِ وَالأعناقِ فاعْتَدِلِ(9)

والصورة البصرية تنبه المتلقي الى أن هذا الشخص يجانب الاعتدال في حاله ، ويجانب الاعتدال في نظرته الى الآخرين ، ولهذا ينبهه الشاعر الى ما قد يواجهه إذا ما هاجمه عدو وبهذا يدعوه الى الاعتدال ، باستعمال فعل الأمر اعتدل ، في صيغة مخيفة ترهب من يستمع إليها ، ليعود الى جادة الصواب ، ويبتعد عن الميلان ، والاعوجاج .

والشاعر يسمي الممدوح في هذا البيت ليثاً ، ثم في البيت الذي يليه يسميه أسداً ، وضرغامة ، قال :

حَذارِ مِنْ أسدٍ ضِرْغَامَةٍ بَطَلٍ

لا يُولِغُ السَّيْفَ إلّا مُهْجَةَ البَطَلِ(10)

فهو شجاع بطل ذو نفس عزيزة لا يسقي سيفه إلّا دم الأبطال الشجعان ، ومعروف ان هذه هي صفات الملوك ، والأسد الشجاع هو ملك الغابة المطلق الذي لا صوت يعلو فوق صوته . ويقول بعده :

لوْلا يَزيدُ لأضحَى المُلْكُ مُطَّرحاً

أو مَائِلَ السَّمْك أوْ مُسْتَرْخِيَ الطِّولِ(11)

وفي هذا البيت دلالة واضحة على رؤية الشاعر في أحقيقة يزيد بن مزيد الملك عن جدارة بسبب من قوة بأسه ، وشجاعة ، غير أن الخلافة للخليفة هارون الرشيد ؛ لأنه ورثها عن آبائه وأجداده ، ومصداق ذلك قوله :

كمْ صائلٍ في ذرا تمْهيدِ مَمْلَكةٍ

لولا يَزيدُ بَني شيْبَانَ لمَ يَصُلِ(12)

فما من خليفة يستطيع بسط نفوذه على البلاد ، لولا يزيد الذي يحمي الثغور ؛ فهو الملك المسود على البلاد . فهو الذي يتقدم على الأعداء ليفتك بهم ، قال :

نـَابُ الإمـَامِ الذي يَـفْـتَـرُّ عنـْهُ إذا

ما افـْتـَرَّتِ الحـَرْبُ عَـنْ أنـْيابها العُـصـُـلِ(13)

يجعل يزيد في مقابل الخليفة ، كالناب في مقابل السبع ، فهو يبديه لعدوه عندما يبدأ بقتاله ، مثلما يبدي السبع نابه لعدوه ، وفي هذا دلالة واضحة على أن المقدم عند الشاعر هو يزيد لا الخليفة .

يبدو لي أن الشجاعة عند الشاعر كانت معيار التقدم ، والسيادة ، قال :

ينـَالُ بـِالرِّفقِ مَا يـَعْيَـا الرِّجالُ به

كالموتِ مُسْتـَعْجـِلاً يـَأتي علـَى مَهـَلِ(14)

فما الذي يعيي الرجال ، ويستقتلون على نيله سوى الملك ، والسيادة التي سينالها الممدوح عاجلاً ، أو آجلاً ، ومصداق ذلك قوله بعد هذا بأبيات :

لايرْحَلُ الناسُ إلّا نحْوَ حـُجـْرَتِهِ

كالبَيْتِ يُضْـحِي إليـْهِ مُلـْتقى السُّبُـلِ(15)

فالناس لا يرحلون الى طلب العطايا الا لبيته ، مثلما تلتقي كل السبل الى مكة ، أي الى البيت العتيق في مكة .

ونجده يكرر هذا المعنى ، معرضا بالفكرة نفسها ضمن قصائد أُخر ، في أن الخلافة يجب أن ينالها من يتحلى بصفة الشجاعة ، والمروءة والنخوة ، قال في قصيدته الميمية المطلقة التي مطلعها:

طـَيْفَ الخـَيالِ حَمِدْنا مِنْكَ إلْمَامَا

دَاوَيْت سُقـْماً وقدْ هـَيَّجـْتَ أَسْقامَا(16)

قال يمدح يزيد بن مزيد الشيباني :

سَلَّ الخليفةُ سَيـْفاً مِنْ بـَني مَطـَرٍ

يمْضِي فَيخـْتـَرِقُ الأجْسادَ وَالـهاما

كالدَّهْرِ لا يـَنـْثـَنِي عَمَّنْ يـَهـُمُّ بهِ

قدْ أوسَع النـَّاسَ إنعاماً وَإرْغاما

حمَى الخِلافَـةَ والإسلامَ فـَامتنعا

كاللّـَيْـثِ يَـحمي مَع الأشـْبال آجاما

أكـْرِمْ بهِ وَبآباءٍ لَـهُ سَلَـفـُوا

أبـْقـَوْا مِنَ المَجْدِ أيـّاماً وأيّاما(17)

وأجد أن الشاعر هنا استعان باللغة المألوفة التي ضمنها شفرات خاصة ، والشفرة فيها ((مرنة ترتبط بكثير من الظروف المحيطة للتعرف على علاماتها ، كما تحتمل علامات اللغة الطبيعية دلالات متعددة ، أما الشفرات الاجتماعية ، والفنية ، فإنها شفرات متسعة ، أي إنها تحتل الى دلالات عامة ثقافية واجتماعية))(18) . وبعد هذا اظهر الشاعر ذلك عندما والى الشاعر صفات إذا اجتمعت في شخص صار مستحقاً أن يكون خليفة الأمة في تلك الحقبة ، فبدأ بصفة القوة مع الرفعة ، عندما شبهه بالسيف الذي سَلـّهُ الخليفة ؛ ليقاتل به أعداءه ، فما فائدة المرء إذا خرج الى الوغى مجرداً من سلاحه ؟ غير أن هذا الرجل ، وعلى الرغم من كونه رجلاً اعتيادياً يماثل جسده أجساد الرجال ، فيطعنهم أولاً في أجسادهم ، إلا أن نفسه التواقة الى العلا تأبى عليه أن يخرج سيفه من الجسد فقط ، فيخرج سيفه من الهام ، وهي أعلى الرأس ، ومقدمهِ ، وقد تعطي الهامة معنى وسط الرأس ومعظمه في كل شيء (19) .

بل إنه شبهه بالدهر وهو الأمد الممدود وقيل الدهر ألف سنة ، والدهر (20) : الزمان الطويل ، ومدى الحياة الدنيا ، والدهر عند العرب يقع على بعض الدهر الأطول ، وقد يقع على مدة الدنيا كلها ، والعرب تقول : أقمنا على ماكذا وكذا دهراً (21) ، لهذا صار الدهر مقياساً يقيس به الشاعر ، قوة الممدوح وأثره لان الدهر هو الذي يستوعب كل شيء ، ويهيمن عليه ، ولا يفوته ، أو يقدر عليه شيء ، وهو يقسم الناس على قسمين ، أولهما : يعيش في نعيم لأنه راضيٍ عنه ، وآخرهما : يعفر بالتراب ؛ لأنه غاضب عليه ، ولا يوجد نوع ثالث بينهما ، إذ لا أحد يفلت من قبضة الدهر . عندها كان مستحقاً الخلافة ، فهو حاميها ، وهو الذي تمنع الإسلام من أن يمس ركنه ، فعمله هذا يشبه مايعمله الأسد عندما يحاول أحدهم الاقتراب من الأجمة التي فيها أشباله ، فيزداد شراسة ، وقوة وعنفاً ، وهنا أضاف الشاعر للممدوح صفة أخرى هي الإيمان المطلق بالله ورسوله ، والولاء للإسلام الذي لا يعدله بنظره شيء ، مثلما لا يعدل شيء الأشبال بنظر الأسد ، وعندها يُضف لنا الشاعر صفة أخرى هي كرم المحتد ، ورفعة النسب ، فالشاعر متحدر من سلالة عريقة في كرم الأصل ، والرفعة والمجد ، فإذا كانت هذه صفة يحتاج من ينال الخلافة ، فهي عنده . والناس في زمنه مدركون هذه الخصال التي تحلى بها الممدوح لذا قال الشاعر بعدها :

تـَرى العـُفاةَ عـُكـْوفاً حَوْل حـُجـْرَتِهِ

يـَرْجـُونَ أرْوعَ رَحْبَ الباع بسّما

فالناس المحتاجون يقيمون عند داره ؛ لأنهم يعرفون أن رجاءهم لن يخيب به ، ينماز من غير بصفات تجعله مستحقاً لهذه المكانة ، فهو حسن المنظر ، مع مكانته وعلو شأنه في المجد ، وهو ضحوكاً عند السؤال ، وهذه صفة الجواد الذي يعطي الشيء وهو سعيد ، كأنه هو الآخذ لا المعطي . ثم يصفه بقوله :

خيُرُ البَريَّةِ آباءً إذا ذُكِروا ً

وأكرمُ الناسِ أخْوالاً وَأعْماماً(22)

وهو بهذا يطلق حكماً عاماً على هذا الشخص في أنه أفضل الناس في زمانه ، كريم الأخوال والأعمام .

وهو يحوز الإعجاب ، إذا ما قعد للناس ، فعنده هيبة الملك قال :

إذا بَدَا رُفِعَ الأستارُ عَنْ مَلِكٍ

تُكْس الشُّهودُ بهِ نُوراً وَإظْلاما(23)

إذا ما نظرت العيون إليه رأت ملكاً ، هو نور على من يواليه ، وظلام على من يعاديه .

ويبدو هذا المعنى الذي يريده الشاعر ، وسكت عنه في قوله :

إذا الخِلافَةُ عُدَّتْ كُنْتَ أنْتَ لَها

عِزّاً وكان بنُو العبّاس حُكّاما(24)

إذا ذكرت الخلافة ، فأنت قائدها الذي تُعِزُّ بالحماية عنها ، أما من تولاها ، فهم بنو العباس ، والناظر الى هذا البيت بإنعام نظر يجد أن الشاعر يرى أن الممدوح هو الخليفة الذي يذب عن حمى الوطن ، ويدافع عنه ، ويجعله مهاباً في نظر أعدائه .

وتصديقاً لما قيل آنفاً أسوقُ مثالاً قصيدة الشاعر الدالية المكسورة التي يمدح فيها هارون الرشيد أمير المؤمنين ، ويشكر إليه ومطلعاً :

خَيالٌ مِن النَّائي الهوَى المتبَعِّدِ

سَرَى فَسرَى عَنْهُ عَزيمُ التَّجَلُّدِ (25)

عدد أبيات هذه القصيدة أربعون بيتاً يبدؤها بمقدمة غزلية رائعة تستغرق خمسة عشر بيتاً ، ثم يتخلص الى وصف الرحلة بقوله :

إليْكَ أمينَ اللهِ ثارَتْ بنا القَطَا

بَناتُ الفَلا في كلِّ مِيثٍ مَسَرَّدِ(26)

ويبدأ بوصف رحلته ، ومعاناته خلالها في أربعة عشر بيتاً .ثم يصف حاجته وما حل به من حوادث ومصائب في قوله :

تَراءَتْ لَهُ الأحْدَاثُ حَتَّى إذا اقتَنَى

رَجَاءَكَ صَدَّتْ عَنْهُ عَنْ قَرْبِ مَعْهَدِ(27)

يقول إذا حلت بي المصائب والحوادث ، فليس لي الا رجاؤك ، فهو قريب العهد لي .

ويبدأ في الأبيات التسعة الأخيرة بمدح الخليفة بذكر قتاله الأعداء ، ويكثر مدح فرسه في بيتين، ويختم القصيدة بقوله ذاكراً حال شخص خالف الخليفة :

وخَافَكَ حَتَّى صارَ يَرْتابُ بالمنى

وَيُتْهِمُ نَجوْى النَّفس عِنْدَ التَّوَحُّدِ(28)

فأين هذه الصفات مما مدح به يزيد بن مزيد الشيباني ، الذي أهله بحق ليكون خليفة للمؤمنين ، وحامياً للإسلام ، وأسوق دليلاً آخر على ما أقوله ، قصيدته التي رثاه فيها ، ومطلعها :

أحَقٌّ أنَّهُ أوْدى يزيد تأمَّلْ أيُّها النَّاعِي المُشيدُ(29)

ويصفه بأنه حامي المجد والإسلام الذي تميل دعائم الإسلام بعده ، فما أدري إذا ما مالت دعائم الإسلام بموت قائد ، فأين ذهب الخليفة إذن ؟! قال :

أحامي المَجْدِ والإسلامَ مالَتْ

دَعائِمُهُ وهَلْ شابَ الوَليدُ !(30)

وبناء على ما سبق أجد أن استقراء ما لم يقله مسلم بن الوليد في شعره صراحة ، مهمة تحمل في طياتها شيئاً من الصعوبة ؛ لأن مجرد قراءة اسم الشاعر على القصيدة يمنحها إحساساً بما يريد قوله ، فنصه الشعري عبارة عن ((خيط غير مرئي يُفضي من ذاتية المؤلف الى ذاتية القاريء . واسم المؤلف على الغلاف ، معروفاً ، راسخاً ، شهيراً هو ضمان الدخول الى عالمه الخيالي ، تماماً كما أن اسم العلامة التجارية على النتاج ضمان لنوعية السلعة ، ولكن الاسم التجاري للمنتوج هو اسم رب العمل ، أو الشركة لا اسم العمال الذين أنتجه شغلهم اليدوي))(31) .

الغزل :

اشتهر مسلم بن الوليد بأنه كان مداحًا محسناً ،واشتهر بالغزل ، ومعاقرة الكأس ؛ لذلك لقبه الخليفة هارون الرشيد بصريع الغواني لقوله :

وتغـــدو صريعَ الكـــــأسِ والأعينِ النُّجـــــلِ (32)

وانماز موضوع الغزل في شعر مسلم بشيء أقرب الى الغرابة منه الى شيء آخر ، وذلك واضح في أن هذا الشاعر عندما يتغزل بالمرأة أنه يذكر اموراً وصفات تخصها بشكل غير صريح ، ولهذا بدأت بتتبع شعر مسلم بن الوليد في محاولة لكشف هذه الحالة في شعره ، وهذا يعني أن الشاعر قد يكون كاذباً في ذكره معشوقته ، أو قد يكون يدعي العشق إدعاءً ، قال :

أ ُحِبُّ التَّي صَدَّت ْ وَقَـالت ْ لِترْبِـها

دَعيهِ الثُّريَّا مِنْه ُ أقرَب ُ مِنْ وَصـْلِي

ومَا نِلْـت ُ مِنـْها نـَائلا ً غـَيْرَ أنني

بِشَـجْوِ المُحِبِّين الألى سَلفُـــوا قـَبْـلي

بَلى رُبَّما وَكَّلْت ُ عـَيْـني بـَنظـْرَةٍ

إليها تـَزيد ُ القلبَ خـَبْـلا ً عـَلى خبلِ (33)

وربما لو أنعمنا النظر أكثر في هذه الأبيات ، لنجد ماسكت الشاعر عنه ، أنه لم يرَ هذه المرأة حقيقة ، فلا يعرف شكل عينيها أو لونهما ، ولا يعرف لون بشرتها ، أو شكل أنفها أو فهما حتى يصفها لنا ، بل أجد أنه لم يكن ينظر الى النساء ، ليعرف شكلهنَّ ، أو شكل ملابسهن أو حليهن ، وأسوق دليلاً على ذلك قوله يصف الخمرة :

كـَأنَّ حَبابَ الماءِ حِينَ يَـشـُجُّها

لآلِيءُ عِـقـْدٍ في دمَاليجَ أو حِجْلِ (34)

فهو يشبه الفقاقيع التي تظهر عند سكب الماء على الخمرة باللؤلؤ الموضوع في الدملج ، أو الحجل(35) ، وهاتان الحليتان هما عبارة عن أسورة حجمها أكبر من حجم السوار الاعتيادي أولاهما تحبس العضد ، وآخرهما تحبس أسفل الساق .ولايوضع اللؤلؤ فيهما ، والمرأة التي يسهب في وصفها هي الجارية التي تسقيه مع أصحابه الخمرة ، قال :

وَدَارَتْ علينا الكأس ُ مِنْ كـَفٍّ طـَفـْلـَةٍ

مُبتـَّلةٍ حَوْراءَ كالرَّشـَإِ الطـَّفـْلِ (35)

ويصف جارية أخرى تحتضن عوداً تعزف على أوتاره أحلى الألحان ، قال :

وَحَنَّ لَنا عُودٌ فَبَـــــــاح بسِرِّنَـا

كَأنَّ عليه ساقَ جاريَةٍ عُطْــــلِ

تضَاحِكُه طَوْراً وَتُبْكِيـهِ تارَةً

خَدَلَّجَةٌ هَيْفَاء ذاتُ شَوًى عَبْلِ

إذا ما اشْتَهَينَا الأقحُوان تبَسَّمَتْ

لنا عَنْ ثَنايـــــــا لاقِصارٍ ولاثُعْلِ (36)

فهي حسنة الخلق ، وضامرة البطن ، ليست بحاجة الى التزيين بالحلي ، أسنانهـــا جميلة الشكل ، ليس فيها اعوجاج ، ولا تخالف . ولا بد من أن نقول أولاً ((إن الصورة الشعرية ليست في جوهرها إلا هذا الإدراك الأسطوري الذي تنعقد فيه الصلة بين الإنسان والطبيعية . طالما أحس الشعراء والفلاسفة هذه الصلة العميقة . يريد الشاعر أن يجعل من الطبيعية ذاتاً ، وأن يجعل من الذات طبيعة خارجية))(37) ، فاستطاع الشاعر أن يجمع لنا مفردات متفرقة في صورة واحدة مملوءة بالعذوبة والجمال عندما جعل أحد طرفِها الأقحوان بكل ماتمثله هذه الزهور من رقة وجمال ، وأسنان المعشوقة التي حازت على جمال الأقحوان ثم أضاف لها الاعتدال في الطول ، والانسجام في المنابت فليس فيها اعوجاج ، ولاتخالف .

ومصداق ماقلت في أن الشاعر عندما يتغزل بامرأة ما فإنه يصفها من غير أن يكون قد رآها أصلاً ، بل إنه يبدأ بالغزل بالمرأة ثم لا يلبث أن ينتقل الى ذكر حاله معها ، أو بعدها

وسَاحِرةِ العَيْنينِ مـا تُحْسِنُ السِّحْرا

تُواصِلُني سِرًّا وتَقْطَعُنْي جهـــرا

أبَتْ حدَقُ الواشينَ أنْ يَصْفُو الهوَى

لَنا فتَعاطينـــــــا التَّعزِّيَ وَالصَّبْرا

وَكُنَّا أليَفيْ لَـــــــدَّةٍ شمْلَ صَفْوَةٍ

حَليفَيْ صَفاءٍ ما نَخَافُ لَهُ غَدْرا (38)

فهو معها يعيش في دعة وسلام ، وأمان حتى فرق الدهر بينهما فصارت حاله بعده أشبه بشجره عارية الأغصان قال :

فُعدْنا كغُصنَيْ أيْكَـــةٍ كُلَّما جَرَت

لَـها الريحُ أَلْقَتْ مِنهُما الوَرَقَ الخُضُرَ(39)

فالشاعر إلتقى بالمرأة ليلاً ؛ لذا لم يتمكن من إدراك ملامحها ، والتمعن في شكلها ، قال :

وَزائِرَةٍ رُعتُ الكَرَى بلِقائهـــــا

وَعادَيْتُ فيها كَوْكَبَ الصُّبْحِ وَالفَجْرا

أَتَتْني على خَوْفِ العُيُونِ كَأنَّها

خذُولٌ تُراعى النبتَ مُشْعَرةً ذعْرا(40)

خوف الشاعر النوم وروعه ، فطرده عن جفنه ، بل إنه كره كوكب الصباح الذي يُحبه الناس إذ هو يدلهم على الطريق في ظلام الصحراء ، ثم يستدلون على طريقهم ، بشكل أحسن عندما يحين الفجر ، أما الشاعر فقد تمسك بالظلام ؛لأنه يقربه الى معشوقته التي لا يستطيع فراقها .

وما أثار في ذهن المتلقي صورة جميلة مشيتها التي يصوت فيها حليها ، فهي تحاول أن تمنع من قديراها من أن يسمع صوت حليها ، أو يشم عطرها ، مستعملاً حاستي السمع والشم في رسم صورة سمعية شمية تؤكد أن الشاعر لم ير هذه المرأة بصورة واضحة ، فتحتفظ عندها ذاكرته صورتها مما يساعد ه على أن يذكرها بشكل واضح في شعره ، قال :

إذا ما مَشَتْ خَافتْ حَلْيهـــــــــا

تُداري عَلى المَشْيِ الخلاخيلَ والعِطْرا(41)

الخمريات :

ليس في شعر صريع الغواني قصائد تنفرد بذكر الخمر غير أنه يدخلها ضمن الغرض الأصلي الذي على أساسه قال القصيدة وينتقل إليه بعد بيت ينقله الى ذكر الخمر ، والغريب في الأمر أن من يتتبع هـــــذا الشعر يجد أن الشاعر لم يكن يشرب الخمرة ، وكل الأوصاف التي ذكرها كانت وصفاً لما يراه منها من صفات ، وليس شعوره عندما يشربها ، قال في البيت الذي انتقل فيه الى وصف الخمرة :

وَلَرُبَّ يَوْمٍ للِصِّبا قَصَّرْتُـــهُ

بالمُهليات وَقد يَكُونُ طويـــلاً

ثم راح يصف لنا الخمـرة ، قال :

وَسُلافةٍ صهْباءَ بِنْتِ سُلافـةٍ

صَفْراءَ لَمَّا تُعْصَرِ التَّسْليلا

أخْتانِ واحِدَةٌ هي ابنـــةُ أخْتِـها

كِلْتاهُما تَدَعُ الصّحيحَ عليلا (42)

بدأ أولاً بذكر صفات هذه الخمرة التي لونها ابيض لأنها لم تعصر من العنب ، وانما تسللت منه ، ثم إذا عصر العنب ، استخرجت منه الثانية ، ولهذا فهما أختان ، لانهما من أصل واحد . ثم يصف مفعولها فيه إذا ما شربها ، قائلا :

بعَثتْ إلى سِرِّ الضَّمير فَجاءَهــــــا

سلِساً عَلى هـَذرِ اللِّسانِ مَقُولا [43]

أرسلت هذه الخمرة إلى ضميره مرسالاً تطلبه الى الحضور إليها فأتاها طائعاً ، يبدي ما فيه على لسان ، والحقيقة أن من ينعم النظر في هذا البيت يجد الشاعر يصف شخصاً أمامه شرب الخمرة ، ولم يكن هو من شربها ، والإ لوصف شعره بخفة ، أو نشوة ، أو راحة ، أو ما يعتريه من يشربهـــا من مشاعر هو أعلم بها من غيره . ومن هذا البيت يمكننا أن نفهم أن الشاعر لم يكن يشرب الخمرة حتى تغتال عقله ، ثم هو إلى ذكر أوصاف الخمرة ، لا ما تفعله في العقول ، فتظهر على أجسامهم ، قال :

لَطَفَ المِزاجُ لَها فزَيَّنَ كَأسَهـا

بقِلادةٍ جُعِلَتْ لَهـــــا إكْليلا

قُتِلَتْ وَعاجَلَها المُديُر فلَمْ تَفِطْ

فَإذا بهِ قَدْ صَيَّرَتْهُ قَتيـــــلاً [44]

ولما مزجت هذه الخمرة بالماء ، زينها بعقد جميل صار كأنه إكليل على رأسها ، غير أن مزجها أزعجها ذلك ، فقتلت الساقي الذي مزجها عندما أسكرته ، وعندها ينتقل إلى وصف رحلته ، تاركاً وصف الخمرة ، راسماً الخمرة بصورة امرأة أراد شخص أن يزينها فاحتال بأن جعل لها القلادة إكليلاً يزين به رأسها ، ولما مزجت مع الماء قتلت ، لكنها لم تمت الا أن قتلت الذي يديرها معها مستعيناً في كل هذا بالتجسيد الذي يدخل في أعماق ((اللغة وضمائرها ، وأفعالها وصفاتها التي ترد علينا وروداً طبيعياً لا شية فيه من صنعة ، أو أناقة))[45] . والشاعر هنا يستعين بأربع حواس يحفز بها مشاعر القاريء ليستمتع بشكل الكأس الجميل الذي تكون بسبب من لون الخمرة ومزجها مع الماء الذي كون فوقها فقاقيع جعلت الكأس أكثر جمالاً ، ثم صوت الأزيز الذي ينتج عندما تنفجر هذه الفقاعات فتحدث موسيقى رائعة تلتذ لها الأذن ، ثم يلتذ الأنف لما ينبعث منها من عطر يشعر شاربها بلذتها ، وما فيها من حياة ، وأخيراً حاسة اللمس عند تدغدغ الفقاعات المنفجرة

اليد والخدين عندما ترمي رذاد الماء عليها ، عندما تنتهي هذه الفقاعات وتسكن الخمرة فكأنها تموت ، فهي تنتقم لنفسها بقتل من شربها ، وفي هذا كله محاولة من الشاعر إلى أن ينبه حواسنا إلى صفات الخمرة التي يجسدها بشكل امرأة ؛ ليبعد انتباهنا عن فعل الخمرة بشاربها الذي ـ كما يبدو لي ـ لم يختبره الشاعر .

ومما يمكن أن أويد فيه كلامي قول الشاعر أيضاً :

أديري علي الرَّاحَ ساقِيةَ الخَمْرِ

ولا تسْألِيني واسألِي الكأسَ عنْ أمْرِي

كأنَّكِ بي قَدْ أظهرَتْ مُضمَرَ الحشا

لكِ الكأسُ حتى أطْلَتْكِ على سِرِّي

وَقدْ كُنْتُ أقْلي الراحَ أنْ يسْتفزَّني

فتنْطِقَ كَأسٌ عنْ لِساني وَلا أدْري

ولكننّي أعْطيتُ مِقْوَديَ الصِّبى

فقادَ بناتِ اللَّهْو مخْلوعَةَ العُذرِ

إذا شئْتُ غاداني صبُوحٌ مِنَ الهوى

وإنْ شِئْتُ ماساني غُبوقُ مِن الخمْرِ(46)

هذه مقدمة خمرة لقصيدة قالها صريع الغواني ، ينتقل من خلال بيتين من الغزل الى وصف رحلته التي ركب فيها البحر ، فراح يصف لنا السفينة التي ركبها ، والبحر الهائج الذي أبحروا فيه (47).

المقدمة الغزلية مكونة من خمسة أبيات في ثلاثة منها ، يصف حال شارب الخمرة ، وهو شخص غيره ، ففي البيت الأول يطلب من ساقية الخمر أن تسقيه ، وعندها سيبدو مايريد قوله على لسان الكأس ، فهي التي ستجعله يتكلم ، ولولاها ما نطق لسانه بأية كلمة ، وهو هنا يستعين بالتشخيص ليوضح لنا الفكرة التي يريد قولها ، فيجعل للكأس شخصاً يُسأل ، فيجيب من يسأله عما يريد . وفي البيت الثاني يتخيل نفسه وقد شرب الخمرة ـ وهو لم يفعل بعدُ ـ فهي قد تطلع الساقية على سّر الشاعر ، وما يضمره قلبه ، ولهذا يبين في البيت بعده أنه يكره شرب الخمرة ، فأبعد نفسه عنها ؛ لانها قد تفضح مكنون نفسه ، وما يكنه داخل نفسه ، ولكنه سلم أمره لهواه ، الا أن هذا التسليم كان مشروطاً ، ففي الصباح مراسلة النساء ، تاركاً الخمرة للمساء عندما تهدأ

الحركة ، ويأوي كل شخص الى بيته ، قد يشرب الخمرة ، إذا ماشاء ذلك ، وليست الخمرة هي التي تختار وقت شربها ، فالشاعر مسيطر على ذاته ، وعلى ما يفعله .

واخيراً فإني في هذا البحث ، ومن خلال الاستعانة بتحليل الأبيات فنياً ، والتعمق في النظر الى الصورة الفنية ، واستعمال الشاعر للمؤثرات الحسية ، تنبيه القاريء الى أمور قارة في أذهان الناس مثل أن صريع الغواني وهذا واضح من اسمه زير نساء فقد بدا لي أن الشاعر عندما يصف امرأة ، فإنه لم يكن قد رآها حقاً ، ثم إن الشاعر لم يكن يشرب الخمرة ، فهو لا يعرف فعلها الحقيقي في النفوس .

هوامش البحث :

(1)ينظر النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه : 6 .

(2)ينظر الصورة الشعرية في النقد الأدبي الحديث : 7.

(3)نظرية تراسل الحواس ، الأصول ـ الأنماط ـ الإجزاء : 80 .

(4)النص والسلطة والحقيقة ، إرادة المعرفة ، وإرادة الهيمنة : 112 .

(5)لطائف المعرف ، الثعالبي : 175 .

(6)شرح ديوان صريع الغواني : 5 .

(7)اتجاهات في النقد الأدبي الحديث ، المقالة بعنوان (الخطاب الأيدلوجي والاختلاف اللغوي : 35 .

(8) شرح الديوان : 6 ، هامش رقم 6 .

(9) م . ن :6 .

(10) م . ن : 6 .

(11) م . ن :7 .

(12) م. ن: 7 .

(13) م . ن: المكان نفسه .

(14)م . ن: 9 .

(15) م . ن: 10 .

(16) م . ن: 61 .

(17)م . ن: 63 .

(18)القاريء والنص ، العلامة والدلالة : 26 .

(19)لسان العرب : مادة همم : 15 / 162 .

(20) م . ن: مادة دهر : 4 / 424 ، 425 .

(21)شرح الديوان : 64 .

(22)م . ن: 66 .

(23) م . ن: 67 .

(24) م . ن: 69 .

(25) م . ن: 73 .

(26) م .ن : 76 .

(27) م . ن: المكان نفسه .

(28)م . ن: 147 .

(29) م .ن : المكان نفسه .

(30) الممارسة النقدية : 167 .

(31)ينظر الشعر والشعراء : 2 / 832 ز وفوات الوفيات : 4 / 136 .

(32) شرح ديوان صريع الغواني : 34 .

(33) م . ن: 39 .

(34)الدُّملج : المِعْضَد من الحُلي ، والحجل : الخلخال ؛ ينظر لسان العرب : مادتي دَملج وحجل .

(35)شرح ديوان صريع الغواني : 40 .

(36) م . ن: 41 .

(37) الصورة الأدبية : 7 .

(38) شرح ديوان صريع الغواني : 44 .

(39) م . ن: 45 .

(40)م . ن: المكان نفسه .

(41) م . ن: المكان نفسه .

(42) م زن : 56 .

(43)م .ن ك 57 .

(44) م . ن : 58 .

(45) الصورة الأدبية : 135 .

(46) شرح ديوان صريع الغواني : 104 .

(47) ينظر الديوان : 111 .

مصادر البحث :

ـ اتجاهات في النقد الأدبي الحديث ، المقالة بعنوان الخطاب الأيدلوجي والاختلاف اللغوي ، ميخائيل باختين ، تر : د . محمد درويش ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، 2009 م .

ـ شرح ديوان صريع الغواني ، مسلم بن الوليد الأنصاري المتوفى سنة 208 هـ ، عني بتحقيقه والتعليق عليه الدكتور سامي الدهان ، ذخائر العرب : 26 ، دار المعارف ، مصر ، ط: 2 ، 1970 م .

ـ الشعر والشعراء ، ابن قتيبة (276 هـ) ، تحـ : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، 1966 م .

ـ الصورة الأدبية ، د. مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط 3 ، 1983 م .

ـ الصورة الشعرية في النقد الأدبي الحديث ، د . بشرى موسى صالح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ت لبنان ، ط1 ، 1994 .

ـ فوات الوفيات والذيل عليها ، تأليف محمد بن شاكر الكتبي ، (ت 764 هـ) ، تحـ : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان ، بلا . ت .

ـ القاريء والنص ، العلامة والدّلالة ، سيزا قاسم ، المجلس الأعلى للثقافة ، الشركة الدولية للطباعة ، مصر ، 2002 م .

ـ لطائف المعارف ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي (ت 429 هـ) ، تحـ محمد الأبياري وحسين الصيرفي ، دار احياء الكتب ، القاهرة ، 1960 .

ـ الممارسة النقدية ، كاثرين بيلسي ، تر : سعيد الغانمي ، دار المدى ، ط 1 ، 2001 م .

ـ النص والسلطة والحقيقة ، إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة ، نصر حامد أبو زيد المركز الثقافي العربي ، بيروت ـ لبنان ، الدار البيضاء ـ المغرب ، ط 5 ، 2006 م .

ـ نظرية تراسل الحواس ، الأصول ـ الأنماط ـ الإجراء ، الدكتور أمجد حميد عبد الله ، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع ، والإعلام ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 1431 هـ 2010 م .

ـ النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه ، القاهرة ـ مصر ، د . ط ، بلا . ت .

الملخص

يعتمد الشاعر في تكوين صورة الشعرية على مثيرات حسية قائمة على مجالات الادراك بما تثيره كل حاسة في ذهن المتلقي ، مستفيداً من الحواس التي تساعده على الإدراك والتخيل والتصوير وقد أردت في بحثي أن اظهر المسكوت عنه في شعر مسلم بن الوليد من خلال طريقة استعمال الحواس ثم طريقة التصوير ، قسمت بحثي الى محاور بحسب موضوعات الشعر فبدأت بالمديح ، فقد وجدت من خلال تزاوج الصورة الشعرية مع ما سكت عنه الشاعر في غرض المديح أنه اراد الخلافة ليزيد بن مزيد الفارس الشجاع ، وهذا الأمر نجده في اشارات واضحة في أشعار سكت الشاعر عما أراد قوله .

واخترت غرض الغزل لأبحث عما سكت الشاعر عنه في شعره ومن الغريب أن الشاعر كان يتغزل بالمرأة من غير ذكر صريح لصفاتها الحسية ، وهذا غريب بالنسبة لشاعر لقب بـ(صريع الغواني) .

وبدا لي من شعرالخمريات ، والمسكوت عنه فيه ، أن في شعره قصائد ذكر الخمرة فيها بصفات قد تبدو غير صحيحة لمن خبر شربها ، وعرفه .

Summary

The poet dependent formation of a caupillary to stimuli ,sensory based on the areas of cognition in cluding raises every sense in the mind of therecipient , taking advantage of the senses which help him to perception and imagination and photography .i wanted in my Research that showed silent in the poetry of muslim Ibn al walid by the method of use the senses and then method of imaging divided the research to the axes according to topics hair began to praise ,I have found through mating poetic image with silent about the poet in the purpose of praise that he wanted . the caliphate of yazidI bnmazidknignt courageous , and thisis found in the clear signals in the poems silent poet what he wanting saying .

The purpose that I choose to look out for what it quiet poet in his poetry is strange that the poet was flirting with women is explicit mention of the sensory qualities and this is astrang title for a poet (sarea al qauani) it seemed to me from alkamriaat poet ,and silent in it , that in poetry poems mentioned characteristics of the wine may seem in correct news for those who drink it and knew .